مكة المكرمة

في بطاقات بريدية

لندن - محمد المكباتي

جمع البطاقات البريدية المصورة هي إحدى هواياتي ولدي مجموعة كبيرة من البطاقات الخاصة بالدول الإسلامية. وتلقيت فى الشهر الماضي بطاقات بريدية لمكة المكرمة، التى يفد إليها جميع المسلمين لأداء مناسك الحج. ولا يأخذ المسلم فى اعتباره كم يبعد مكان إقامته عن مدينة مكة فكل ما يتمناه المسلم هو زيارتها مهما كلفه ذلك. فإن وافته المنية أثناء قيامه بمناسك الحج فهو يموت سعيدا واثقا أن الله عز وجل قد غفر له خطاياه كما لو كان قد أدى مناسك الحج كاملة.

وقد افتنيت على مدى السنين بطاقات خاصة بالحج. ووجدت بعض هذه البطاقات يصور ذلك التجمع العظيم لأكثر من ثلاثة ملايين شخص من جميع أنحاء العالم للوقوف فى مكان واحد هو عرفات مرتدين نفس الرداء الأبيض بغض النظر عن اختلاف الطبقات أو اللون أو الأصل أو الجنسية أو اللغة أو السن. ويصور أحد هذه البطاقات وقت غروب الشمس فى يوم عرفات ساعة النفرة حين يتجه الحجاج إلى المزدلفة. وترى على بعض هذه البطاقات ذلك الجمع الغفير من الحجاج عند وفودهم لمكة وقيامهم بالطواف حول الكعبة سبع مرات مقبلين الحجر الأسود.

وبالنظر إلى كون بعض هذه البطاقات يرجع تاريخها إلى عام 1900 فمن الممكن المقارنة بين المتاعب التى كان يتعرض لها الحجاج حينئذ وبين مثيلاتها الآن. فمثلا، على الرغم من أن مكة تبعد حوالى 85 كم عن جدة فقد كان الحجاج يقضون حوالى يومين يجوبون الصحراء على ظهور الجمال والحمير والخيل. أما الآن فقد اختلف الأمر فتلك المسافة يقطعها الحاج في حوالي 45 دقيقة بداخل السيارات والأتوبيسات المكيفة. ويعتبر ذلك المثال بسيطا عند المقارنة بين ما كان عليه الحج من مئة عام وبين الأمر الآن. ففى مصر كان يقوم الحجاج بعبور قناة السويس بالجمال حاملين الكسوة الشريفة وهو ما يسمى بـ"المحمل". أما فى سوريا فيبدأ الحجاج رحلتهم على الجمال بعد أربعة أيام من انتهاء شهر رمضان الكريم متوجهين لمكة المكرمة التى يصلونها بعد شهرين.

أما الآن فالتسهيلات المتاحة والأمن والنظافة قد فاقت الوصف، فترى المياه المثلجة فى كل مكان. كما يوجد بمكة أكثر من 50 ألف غرفة فاخرة بالفنادق ذات الخمسة نجوم العالمية. وهناك أكثر من 60 نفقا فى الجبال لتسهيل حركة السير والتنقل. وكل الخيام بمنى وعرفات ضد الحريق ومكيفة ومزودة بالحمامات مجانا لتخدم هذا التجمع البشرى الهائل.

وهناك بعض البطاقات تصور المدينة المنورة منذ مئة عام. وتعد المدينة المنورة ثاني مدينة في المملكة العربية السعودية حيث يتدفق إليها الحجاج المعتمرون من كل مكان. وينهي الحاج رحلته بزيارة مسجد وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة. وتعتبر مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى مدينة القدس، جواهر العالم الإسلامي، لما لها من قدرة على اجتذاب كافة المسلمين طوال العام لأداء مناسك العمرة والحج والشعور بالطمأنينة والراحة النفسية.

وتعتمد هذه السياحة الإسلامية على الكثير من المؤسسات الضخمة بدءا من وزارة الحج والقائمين على الفنادق وشركات النقل البري والبحري والجوي والاتصالات والنظافة والتعقيم والرعاية الطبية والمستشفيات. وتتعاون هذه المؤسسات جميعا من أجل الحفاظ على سلامة وراحة أكثر من ثلاثة ملايين من ضيوف الرحمن. وشعرت من خلال رحلتي مع بطاقات البريد المصورة بوجودي في الأماكن المقدسة مؤديا فريضة الحج التى أتمنى لكل مسلم القيام بأدائها والاستمتاع بأعظم رحلة سياحية. كما أود أن أضيف أن جميع المدن والعواصم العالمية التى قمت بزيارتها لا يمكن مقارنتها بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة على الإطلاق. ■

مكة المكرمة

La Meca